

عرض كتاب

علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب

تأليف : محمد مرياتي، يحيى ميرعلم، محمد حسان الطيان

عرض: أبو بكر خالد سعد الله

أستاذ (متقاعد) بقسم الرياضيات، المدرسة العليا للأساتذة، القبة

khaled.sadallah@g.ens-kouba.dz

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب

(الشفيرة وكسر الشفرة)

مجلد الثاني

دراسة وتحقيق لشكافي رسائل مخطوطة

الدكتور محمد مرياتي

الدكتور يحيى ميرعلم

تقديم
الأستاذ الدكتور شكافي

صدر في 482 صفحة سنة 1996 عن

مجمع اللغة العربية بدمشق

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب

مجلد الأول

دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدنبر

الدكتور محمد مرياتي

محرران الطيان

تقديم
الدكتور شكافي

صدر في 452 صفحة سنة 1987 عن

مجمع اللغة العربية بدمشق



محمد حسان الطيان



يحيى ميرعلم



محمد مرياتي

1. المؤلفون

الأستاذ محمد مراياتي، من مواليد دمشق عام 1945، متخصص في الفيزياء ومعالجة الإشارة. وهو كبير المستشارين في العلم والتكنولوجيا للتنمية المستدامة في إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية التابعة للأمم المتحدة. له بحوث عديدة في معالجة الإشارة، وفي تكنولوجيا المعلومات واللغة العربية، وفي معالجة اللغات والترجمة، والتجارة الإلكترونية، وفي التقييس والمعايرة. أما الأستاذان يحيى مير علم ومحمد حسان الطيّان فولدا بدمشق عام 1953 وعام 1955 على التوالي، وهما متخصصان في اللغة العربية وآدابها، وعضوان مراسلان لمجمع اللغة العربية السوري ويمارسان مهنة التدريس الجامعي. كما أنهما مهتمان بتحقيق كتب التراث اللغوي والعلمي.

2. الكتاب

عنوانه هو "علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب". وقد صدر في جزئين باللغة العربية، ثم ترجم إلى الأنكليزية. وظهر الجزء الأول عام 1986 عن مجمع اللغة العربية السوري، ويحمل هذا الجزء العنوان "دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدُرهم". ثم، بعد عشر سنوات، صدر الجزء الثاني تحت عنوان "دراسة وتحقيق لثمان رسائل مخطوطة"، ونشر أيضا في مجمع اللغة العربية السوري.

وفي عام 2003 بادرت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في الرياض، بالتعاون مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بترجمة الكتاب إلى الأنكليزية. وفضل الناشر توزيع الترجمة إلى 6 أجزاء تقع في 1300 صفحة. وهو ما صدر منها لحد الساعة. ومن المعلوم أن هناك جزءا ثالثا باللغة العربية ينوي المؤلفون تقديمه لم يكتب له الصدور لحد الآن حسب علمنا. ومن المفترض أن يتضمن هذا الجزء مخطوطات مهمة في التعمية ورموزها. أما النسخة الأنكليزية فقد تقرر أن تُنشر في 9 أجزاء إلا أنه لم يصدر منها كما أسلفنا سوى 6 أجزاء.

لقد قدّم لهذا الكتاب المرحوم شاكِر الفحام (1921-2008)، رئيس مجمع اللغة العربية السوري سابقا، وجاءت في خاتمة تقديمه العبارات التالية: "لقد فتحت هذه الدراسة الغميسة للباحثين أبوابا كانت موصدة، وبسطت آفاقا عريضة. ومجال القول ذو سعة فللعرب في إخفاء المراد والإيماء إليه أفانين من الطرائق استقلت التعمية بواحدة منها... ثم هناك هذا التبادل المثمر بين تراث الفرس والترک، وهو ينتظر من يكشف غوامضه ويدل عليه."

وما يمكن الوقوف عليه أن الكتاب، سواء تعلق الأمر بنسخته العربية أو الأنكليزية، يمكن أن يراها القارئ عملا منقوصا. غير أن مثل هذه الأعمال التي تتمثل بوجه خاص في تحقيق مخطوطات لأول مرة في حقل من حقول المعرفة عمل لا ينتهي أبدا. ذلك أن المخطوطات التاريخية لا يعلم الباحث متى يتم اكتشافها ومتى تتوفّر الوسائل الكفيلة بتحقيقها. ومن هذا المنظور يمكن اعتبار أن ما صدر من الكتاب عمل واف سيستمر الباحثون في إثرائه كلما توفرت الإمكانيات.

3. ما هي التعمية؟

يمكن أن نقول إن التعمية مجموعة من الأدوات التقنية تسمح بإخفاء معلومات بواسطة شفرة سرية، كأن تكتب نصا وتستبدل فيه كل حرف بحرف آخر، أو برقم وفق قاعدة معينة. والواقع أن هناك نوعين من التعمية، هما تعمية المعاني بالتَّوْزِيَة التي تعتمد على خبرة المتراسلين وعلاقاتهم فيما بينهم، وهذا النوع بعيد عن التعمية الحديثة.

فالتَّوْزِيَة تعني في كثير من الأحيان الإتيان بلفظ له معنيان : معنى قريب ظاهر للمستمع أو القارئ ولا يكون المعنى المقصود من قبل المتكلم، ومعنى آخر بعيد ومبطن، وهو الذي يقصده المتكلم.

وفي هذا السياق، هناك ما يُسمى بالتعمية البديعية، التي تشمل بوجه خاص التورية والرمز والألغاز وغيرها. وقد استعملها العرب كما استعملها غيرهم. ولا يُعدّ هذا النوع من التعمية علماً يعتمد على الرياضيات والحساب والجبر واللسانيات، بل إنه يعتمد في واقع الأمر على الفطنة والذكاء. لذلك لا يهتم به الدارسون لعلم التعمية... وكذلك فعل أصحاب هذا الكتاب.

أما النوع الثاني من التعمية، فهو يُعنى بتعمية الحروف، بغض النظر عن معنى الكلمات والجميل، ولذا فهو يخضع لقواعد منطقية وحسابية دقيقة جعلت من التعمية علما قائما بذاته يعتمد على الرياضيات عموما وعلى علم الحساب والجبر خصوصا.

يرى المؤرخون أن التعمية شهدت خلال الحقبة الأولى بعض التطورات المحتشمة يصعب أن نصفها بالعلمية. ثم جاءت الحقبة الثانية فعالجت موضوع التعمية واستخراج المعنى بشكل علمي. وتم تسجيل ذلك في الكتب والرسائل.

أما بداية هذه المرحلة فكانت مع الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ/718م-170هـ/786م) الذي نسب إليه أول كتاب في التعمية. وامتدت المرحلة إلى القرن التاسع الهجري. ويلاحظ المؤلفون أن علم التعمية لم يكن عند العرب والمسلمين منعزلاً عن العلوم الأخرى، مثل الترجمة التي تطلب تطويرها الاطلاع على ما كتب باللغات الميتة وفك رموزها. ونجد التعمية أيضاً تدخل حقل الكيمياء وكتابتها المعقّدة، وكذا في السحر والفلسفة وعلوم اللغة العربية وتطورها، فدخلت التعمية مجال الإحصاء والصوتيات. وممن أدلى بدلوه في الصوتيات أبو يوسف الكندي (175هـ/792م-256هـ/870م) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات عندما كتب في مجال التعمية. فقد تكلم عن تردّد حروف العربية ودورانها في الكلام معتمداً على إحصاء صنعه بنفسه وجاء في ذلك بقانون لغوي عام ينطبق على كلّ اللغات إذ أورد ما يقرب من مئة قانون من قوانين ائتلاف الحروف واختلافها أو تنافرها. يرى بعض المحللين أن التعمية بدأت فناً كسائر الفنون، ثم صارت تقنية تتميز بخصوصياتها الحسابية، ولم تلبث طويلاً حتى أصبحت علماً مستقلاً بقواعده وأدواته المختلفة. وقد عاشت التعمية تلك المراحل الثلاث غير المتساوية المدة، وانتقلت من مرحلة إلى أخرى عبر قفزات نوعية أوصلتها إلى عصرها الحالي الذي تربعت فيه على كل مجالات الحياة! والغريب أن نشهد بأن علم الحاسوب الذي لا يتجاوز عمره عشرات السنين قد تمكن الآن من احتواء علم يرجع تاريخه إلى أزيد من عشرين قرناً! وبخصوص أهمية التعمية اليوم نشير إلى أنه منذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين، امتد استعمال التعمية من مجال الاتصالات والمراسلات العسكرية والدبلوماسية والأمنية إلى عديد المجالات الأخرى، مثل الصناعة والاقتصاد والتجارة وذلك للحفاظ على الأسرار المتعلقة بالابتكارات والتصاميم، وبالصفقات التجارية والأوضاع المالية. ناهيك عن البنوك والهيئات المصرفية للحفاظ على حسابات الأفراد والودائع، وحمايتها من الاختلاس والتحايل.

4. العرب والتعمية

ما يهم هذا الكتاب هو التركيز على إسهامات العرب والمسلمين في تطوير فنون التعمية. وللتأكيد على أن أجدادنا كان لهم السبق في هذا المجال يكفي أن نورد ما كتبه كبير مؤرخي علم التعمية في العالم، وهو الأمريكي ديفد كاهن Kahn. فقد كتب هذا المؤرخ في كتابه "مستخرجو الرموز"، يقول:

"لم نجد في الكتابة السرية لدى كل الحضارات التي استعرضناها حتى الآن ... أي عمل واضح في استخراج المعنى ... وبالتالي فإن علم التعمية الذي يشمل علمي التعمية واستخراج المعنى لم يولد حتى هذا التاريخ (أي القرن 1هـ/7م) في جميع الحضارات التي استعرضناها بما فيها الحضارة الغربية ...".

وفي مكان آخر من نفس الكتاب يضيف ديفد كاهن:

"إن شفرة قيصر بقيت حية حتى آخر أيام الروم لأن أول من أفسدوا الشفرة لم يظهروا إلا بعد عدة قرون لاحقة. العرب كانوا أول من اكتشف مبادئ استخراج المعنى، ولكن معلوماتهم تقلصت مع أفول حضارتهم."

والواقع أن ما حفّز محمد مراياتي وزميله على تأليف الكتاب والبحث في علم التعمية هو ما جاء على لسان ديفد كاهن بالذات في كتابه حين عبّر عن حزنه بخصوص فقدان مؤلف ابن الدُرَيْم الموسوم "مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز" لأنه يُعتبر من أهم ما كُتب في علم التعمية. وزاد حزن هذا المؤرخ الغربي حين قرأ ما ورد إليه إثر ما كتبه حول ابن الدُرَيْم إذ تنكّر هؤلاء المعقبون وجود ابن الدُرَيْم أصلاً، وزعموا أنه ضرب من الخيال، ولا وجود له في التاريخ!!

روى أحد مؤلفي الكتاب، وهو الأستاذ محمد حسان الطيّان، خلال حفل أقيم بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بمناسبة صدور الجزء الأول من هذا المؤلف كيف بدأ اهتمامهم بعلم التعمية عام 1979.

فبعد الاطلاع على ما كتبه ديفد كاهن حول ابن الدُرَيْم وتحصّره على فقدان مخطوطه راحوا يبحثون عن هذا المخطوط في آلاف المخطوطات بمكتبة الظاهرية بدمشق، وهي أكبر مكتبة مخطوطات بسوريا. فلم يعثروا إلا على مخطوطتين لابن الدُرَيْم لا يوجد من بينهما المخطوط الذي أشار إليه المؤرخ كاهن.

ولذلك انتقلوا بصعوبة إلى إسطنبول عام 1981 يبحثون من بين عشرات آلاف المخطوطات العربية الإسلامية في مكتبة السليمانية عن مخطوطات في التعمية حتى اكتشفوا عنوان المخطوط المنشود.

يصف الأستاذ الطيّان فرحة المؤلفين بهذا الاكتشاف في تلك اللحظات بالعبارات التالية :

"أرأيت إلى الأعرابي يضل بعيره في الصحراء... ثم يجده بعد طول يأسٍ واغتمام؟ أرأيت إلى الأم تفقد فلذة كبدها في متاهة... ثم تلقاه بعد طول بعد وغياب؟ أرأيت إلى الباحث الجاد يمضي مع بحثه خطوة خطوة يجمع مصادره، ويجري تجاربه، ويستقرى كل أدواته... ثم

يُؤْتَى بحُثّه أكله بعد طول عنت واستعصاء؟ كذلك كانت فرحتنا يوم لقينا مخطوطنا الضائع "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز" لابن الدُرْهَم الموصلي!"

ومن معاناة الباحثين في الحصول على المخطوطات أنهم اتجهوا عام 1986 إلى أوروبا حيث المتحف البريطاني بلندن، ثم المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس للحصول على نسخة من مخطوط بالغ الأهمية في مجال التعمية وهو "شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام" لأحمد بن علي بن وحشية (ق 3هـ). وأهمية هذا المخطوط تكمن في كونه كشف عن معاني رموز اللغة الهيروغليفية قبل عشرة قرون من اكتشافها من قبل الفرنسي جون فرانسوا شامبليون Jean-François Champollion (1790-1832).

نلاحظ أن رسالة الكندي في استخراج المعنى -التي تم تحقيقها في الكتاب الذي بين أيدينا- تقع ضمن مجموعة مخطوطات تحصل عليها مؤلفو الموسوعة وقد جاءت في 232 ورقة كُتبت بحرف صغير متداخل، قسمها صاحبها إلى قسمين: يشتمل القسم الأول منهما على رسائل ثابت بن قُرّة في الرياضيات وغيرها. أما القسم الثاني فيتضمن رسائل مختلفة للكندي بدأت بفهرس جاء في أعلاه: "الجزء الأول من كُتب ورسائل يعقوب بن إسحاق الكندي، وفيه ستون مصنفاً". ونجد رسالة الكندي في استخراج المعنى واحدة من رسائل هذا القسم.

ولما صدر الجزء الأول من هذا الكتاب كتب المؤرخ ديفد كاهن قائلاً بصده: "إنه إسهام عظيم في تاريخ علم التعمية، ومدعاة كبرى لامتناني الشخصي وتقدير سائر المهتمين بهذا المبحث والمؤرخين له، وسنكون مدينين دوماً بالشكر له..."

ويعترف ديفد كاهن في مكان آخر بفضل العرب والمسلمين في هذا المجال مؤكداً على أن طريق الباحث لأزال طويلاً، فيقول: "طُور المسلمون معارف في استخراج المعنى تنم عن ممارستهم العلمية لاعتراض المراسلات واستخراج تعميّتها، وذلك على الرغم من تشكيك بعض الباحثين في ذلك. وبما أن التراث الإسلامي المخطوط لا يزال غير مكتشف في معظمه فقد يحصل الباحث فيه اكتشافات جديدة بالتقدير".

يوضح المؤلفون في الجزء الأول أن دراستهم تمثل أول بحث علمي في العصر الحديث يُحقق النصوص المهمة الواردة في مخطوطات علم التعمية. ومن ثمّ صحح الكتاب عديد الأخطاء التاريخية، فأعاد تاريخ التدوين العلمي إلى الكندي خلال القرن التاسع الميلادي، أي قبل ستة قرون من ظهور الإيطالي ليون باتيستا ألبرتي Leon Battista Alberti (1404-1472) الذي عاش في القرن الخامس عشر ميلادي، والذي يُنسب إليه أول عمل في التعمية ظهر عند الغربيين.

وهكذا يشهد الخبراء المعاصرون على سبق علمائنا في هذا المجال. لكن الظاهر من كتابات هؤلاء الرواد العرب والمسلمين أن الجوسسة لم تكن هاجسهم، بل كتبوا في طرائق التعمية الرئيسية التي مازال العالم يستخدم بعضها في الوقت الراهن بعيداً عن استخدامها غير الأخلاقية.

5. أعلام العرب والمسلمين في التعمية

من أبرز الأسماء والمؤلفات التي أشار إليها الكتاب مركزاً على البعض في موضوع التعمية خلال نحو ثمانية قرون، نذكر:

- 1 الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ/718م-170هـ/786م): ينسب إليه كتاب في التعمية لم يعثر عليه المؤرخون، بل هناك من اعتبر هذا العالم أول من وضع علم التعمية وكتب فيه.
- 2 جابر بن حيان (توفي عام 200هـ/810م): ألف كتاب "حلّ الرموز ومفاتيح الكنوز".
- 3 ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري (توفي عام 245هـ/859م): ألف كتاب "حلّ الرموز وبرء الأسفام في أصول اللغات والأقلام".
- 4 سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (توفي عام 248هـ/862م): قال فيه ابن النديم في "الفهرست" إنه كان "يتبحر في الكتب ويخرج المعنى، حاذق في ذلك، دقيق النظر فيه".
- 5 يعقوب بن إسحاق الكندي (توفي عام 260هـ/873م): من مؤلفاته في التعمية رسالة في استخراج المعنى.
- 6 أحمد بن علي بن وحشية (توفي عام بعد 291هـ/914م): من مؤلفاته في علم التعمية "شوق المستهام في معرفة الأقلام". وقد ترجم الكتاب إلى الإنكليزية عام 1806.
- 7 محمد بن أحمد بن كيسان (عاش قبل 3هـ/9م): قال ياقوت الحموي في "معجم الأدياء" إن "له في العروض والمعنى كتاباً".
- 8 داود بن الهيثم بن إسحاق التنوخي (228هـ/843م-316هـ/928م): كان نحويًا لغويًا حسن المعرفة بالعروض واستخراج المعنى.
- 9 محمد بن أحمد بن محمد بن طباطبا (توفي عام 322هـ/934م): من مؤلفاته "رسالة في استخراج المعنى".

- 10 محمد بن سعيد البصير الموصلي (توفي عام 4هـ/10م): كان رائدا في استخراج المعنى والعروض.
- 11 إسحاق بن إبراهيم الكاتب (قبل 4هـ/10م): من مؤلفاته في علم التعمية كتاب "البيان والتبيين".
- 12 أحمد الشنمري (كان حيا عام 553هـ/1158م): ذاع صيته في العروض وفك المعنى.
- 13 أسعد بن مهذب بن مماتي (554هـ/1149م-606هـ/1209م): من مؤلفاته في علم التعمية كتاب "خصائص المعرفة في المعانيات".
- 14 إبراهيم بن محمد بن دُنينير (583هـ/1187م-627هـ/1229م): من مؤلفاته في علم التعمية كتاب "مقاصد الفصول عن حل الترجمة".
- 15 علي بن عدلان (583هـ/1187م-666هـ/1268م): من مؤلفاته في علم التعمية كتاب "المؤلف للملك الأشرف في حل التراجم" وكتاب "المُعَلَّم".
- 16 علي بن محمد بن الدُرهم (712هـ/1312م-762هـ/1359م): من مؤلفاته في علم التعمية "مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز" و"إيضاح المهم في حل المترجم" و"مختصر المهم في حل المترجم"، ونظم لقواعد فن المترجم وضوابطه، وقصيدة "في حل رموز الأقلام المكتوبة".
- 17 علي بن محمد بن أيدمر الجلدي (توفي 742هـ/1341م): من مؤلفاته في علم التعمية "كنز الاختصاص ودرّة الغواص في معرفة أسرار علم الخواص".
- 18 أحمد بن علي القلقشندي (756هـ/1355م-821هـ/1418م): نجد فصلا كاملا في موسوعته "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" المكونة من 14 جزءا تتناول موضوع التعمية.

يتضمن الجزء الأول من هذا الكتاب بوجه خاص تحقيقا لثلاث مخطوطات في علم التعمية ودراسة للنصوص التراثية المتعلقة بها. وهذه المخطوطات هي :

- رسالة للكندي في استخراج المعنى،

- رسالة لابن عدلان،

- رسالة "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز" لابن الدُرهم.

إليك عينة مما كتب الكندي في مقدمة كلامه عن التعمية:

"فمما نحتال به لاستنباط الكتاب المعنى إذا عُرف بأي لسان فنغد ما فيه من كل نوع من أنواع حروفه، فنكتب على أكثرها عددا الأول، والذي يليه في الكثرة الثاني، والذي يلي ذلك في الكثرة الثالث، وكذلك حتى نأتي على جميع أنواع الحروف".
 "ثم ننظر في الكتاب الذي نريد استخراجاه فنصنف أيضا أنواع صورته، فننظر إلى أكثرها عددا فنسبها بسمّة الحرف الأول، والذي يليه في الكثرة فنسبها بسمّة الحرف الثاني، والذي يليه في الكثرة فنسبها بسمّة الحرف الثالث، ثم كذلك حتى تنفذ أنواع صور حروف الكتاب المعماة التي قصد لاستنباطه".

ثم يشرح الكندي بقوله إن هذه الطريقة تكون فعالة إن كان عدد حروف النص المعنى كمية معتبرة حتى تجوز المقارنة بين نسبة الحروف بين النص المعنى والنص غير المعنى. ثم يواصل في تدقيق استخراج المعنى بناء على خصوصية قواعد اللغة التي كتب بها النص المعنى.

ويذكر أيضا أن ما يُعين في الدلالة أن يُعرف في لغة النص عبارات التمجيد والتفخيم والعبارات المألوفة في المقدمات (التي يسميها البعض "الاستفتاحات") مثل "بسم الله الرحمن الرحيم في اللغة العربية. كما خصص حديثا للشعر وتعميته لأن ميزة الشعر أن ترتيب حروفه وعددها يخضعان لقواعد العروض ولا تصدق عليه نفس القواعد الصالحة في النثر.

يعتقد المؤلفون أن ما وقفوا عليه من آثار لابن الدُرهم في مجال علم التعمية واستخراج المعنى يكشف عن أهمية إسهامات الرجل في هذا الباب، ولا شك أن وراء ذلك كله علما كبيرا وآثارا بارزة الشواهد. يقول أصحاب الموسوعة إنهم اطلعوا على بعضها وما زالوا يتطلعون إلى العثور على المزيد منها، وهي تشهد على أن الرجل كان علما من أعلامنا العظام، وإنه يستحق التكريم والانضمام إلى ركب رجالات العلم لما قدّم من إنجازات في صرح الحضارة العربية الإسلامية.

والواقع أن ابن الدُرهم يصرح بأنه كتب في بداية الأمر كتاب "إيضاح المهم في حل المترجم"، ثم اختصره ومررت عليه مرحلة، ولم يحتفظ بنسخة منه. ثم يقول :

"وسألني من يجب الامتثال له ولا سبيل إلى رده فتَظلمت هذا القدر الكافي مما علقَ في ذهني من قواعد هذا الفن وضوابطه... وسمّيته 'مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز'".

ويعجب القارئ عندما يطلع على مخطوط ابن الدُرَيْهِم وهو يوضح خصوصيات اللغات المختلفة في تعمية نصوصها. وقد ذكر عددا كبيرا من اللغات وحدد عدد حروفها والناقص منها من الحروف والزائد، موضحا الفرق فيها بين أرقامها وحروفها بالنسبة للغة العربية. ومن بين تلك اللغات نجد: الفارسية والتركية والعبرية والأرمنية والرومية والسريانية والأفريقية واليونانية والهندية والقبطية...

6. مخطوطات في التعمية

يذكر المؤلفون أنهم وجدوا ضالهم في موضوع عدد من المخطوطات المتعلقة بالتعمية عندما وضعوا أيديهم عليها في مكتبة السليمانية. وكان فضل المؤرخ التركي الشهير فؤاد سزكين (1924-2018) عظيما في تسهيل مهمتهم وتزويدهم بصور تلك المخطوطات. وقد ارتأى أصحاب الكتاب تصنيف المخطوطات العربية ذات الصلة بالتعمية إلى ثلاثة أصناف هي :

- تعمية النصوص المنثورة،

- تعمية النصوص المنثورة والمنظومة،

- تعمية النصوص المنظومة.

وفي هذا الإطار، تناول المؤلفون بالدرس كتباً ورسائل، منها كتاب **"البرهان في وجوه البيان"** لابن وهب الكاتب، وكتاب لابن دُنينير عنوانه **"مقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة"** الذي جاء في قسمين :

- الأول في حل ما عُيِّي من الكلام المنثور،

- والثاني في حل ما عُيِّي في الكلام المنظوم.

وقد حقق المؤلفون رسالة أبي الحسن بن طباطبا التي تتضمن عدة عناوين فرعية، منها :

- ما يُستعان به لاستخراج المعنى من النثر والشعر،

- طرق التعمية بالتبديل البسيط،

- "مثال على تعمية الشعر".

وقد خصص الجزء الثاني من هذا الكتاب نحو خمسين صفحة لكتاب مخطوط لأبي الحسن محمد بن الحسن الجُرْهُمِي (مجهول المولد والوفاة). وبالإضافة إلى تحقيق رسالة ابن طباطبا ومخطوط الجرهني، حقق المؤلفون 6 مخطوطات في الجزء الثاني من عملهم.

وقدم المحققون الكثير من التوضيحات في أمور غامضة وأخطاء وقع فيها غيرهم. فقد أثبتوا مثلا أن كتاب **"البيان والتبيين"** لابن وهب الكاتب إنما هو جزء من كتاب تم طبعه للكاتب ذاته بعنوان **"البرهان في وجوه البيان"**. كما أشاروا إلى أن رسالة ابن طباطبا في استخراج المعنى قد نشرها محمد بن عبد الرحمن الهدلق (1944-2024)، الذي كان أستاذا بجامعة الملك سعود في الرياض.

ولاحظ المؤلفون أن التعمية خلال القرون المتأخرة غلب عليها اللون البديعي. ولذا أغفلوا التطرق إلى هذا النوع من التعمية لكونه لم يلقَ الكثير من الاهتمام لدى الناس خلافا للنوع الآخر الذي استغلوه في حياتهم رغم اختلاف الوسائل المتاحة. واكتفى المحققون في هذا الباب بالإشارة إلى من كتب في فن المعنى البديعي علما أن جلها ما زال مخطوطا.

لما كان علم التعمية يتميز بمصطلحات خاصة فقد ارتأى أصحاب الموسوعة التمهيد لها بتعاريف لتحديد أبرز معانيها. ولمزيد من التوضيح أقرن المؤلفون المصطلح العربي بالمصطلح الانكليزي. كما تم تقديم المبادئ العامة في علمي التعمية واستخراج المعنى بأسلوب بسيط في متناول القارئ غير المختص.

وقد دُيِّل كل جزء من الموسوعة بفهارس عديدة تخدم الباحث لبلوغ غايته في الكتاب. وهكذا نجد جردا لمصطلحات علم التعمية، وآخر بالمصطلحات العلمية مقرونة بما يقابلها باللغة الانكليزية. وقدم الفهرس الثالث قائمة الأعلام. أما الرابع فضم عناوين الكتب والرسائل الوارد ذكرها في الكتاب. كما خُصص أيضا فهرس للشواهد (الآيات والأحاديث والأمثال...) إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

لا يختلف اثنان في أن هذا الكتاب قد كشف لأول مرة عن أبرز ما أنتجه العرب والمسلمون في علم التعمية، وقد كاد بعضه أن يندثر أو كان سيظل حبيس خزائن مكتبات الغرب لو لم يعتني به هؤلاء الباحثون.

يحضرنا هنا رأي المؤرخ ديفد كاهن في دور العرب والمسلمين في بعث علم التعمية. يقول كاهن : إن **"طريقة التعمية التي استعملها قيصر كافية لعصره لأن أوائل مستخرجي التعمية لم يظهروا إلا بعد عدة قرون منه. فالعرب هم الذين اكتشفوا مبادئ استخراج المعنى."**

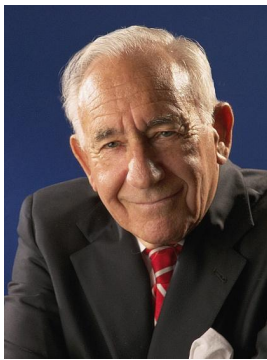


شاكر الفخّام (1921-2008)
رئيس مجمع اللغة العربية السوري
(1993-2008)

أما السوري، المرحوم شاكر الفخّام الذي كان وزيرا للتربية (1963) ووزيرا للتعليم العالي (1970) وسفير بلاده في الجزائر (1964-1968)، فصَدَر الكتاب حين كان رئيسا لمجمع اللغة العربية السوري (1993-2008) وجاء في تقديمه :

"لقد أحسن الأساتذة المحققون عملهم الإحسان كله، وقدموا لقراء العربية كتابا داني القطوف، جَيّ الثمار، ومهدوا للعلماء والباحثين طريقا لاجِبًا ليتابعوا نشر ما تضمه الخزانة العربية من مخطوطات التعمية، فجزاهم الله عن العربية وتراثها الجزاء الأوفى."

وبعد كل هذا، لا ندري هل العمل لا زال بالفعل متواصلا على إثراء هذه الموسوعة بجزء ثالث. فقد أشار المؤلفون إلى هذا الموضوع، وإلى أن بحثهم جار عن مخطوطات في التعمية وعن نصوص معمّاة... وأكدوا أن في هذه النصوص تطبيقات عملية لا شك أنها موجودة في مكتبات منتشرة في بلدان عديدة، كوثائق الدولة الفاطمية المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، ووثائق الدولة العثمانية المحفوظة في المكتبة السلিমانيّة بأسطنبول. نتمنى أن يرى هذا الجزء النور قريبا لاستكمال مشوار هذه الموسوعة القيّمة التي تُسجّل بأحرف من نور مجدّ حضارتنا العربية الإسلامية.



ديفيد كاهن David Kahn
(1930-2024)
مؤرخ أمريكي لعلم التعمية

"وُلد علم التعمية بين العرب. فقد كانوا أول من اكتشف ودوّن أساليب تحليل الشفرات (كسر التشفير). الشعب الذي انطلق من شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي وامتد بسرعة ليغمر مساحات واسعة من العالم المعروف، سرعان ما أنشأ واحدة من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ آنذاك... لقد وُضعت المعرفة العربية بعلم التعمية بشكل كامل في القسم المخصص لعلم التشفير في موسوعة "صبح الأعشى"، وهي موسوعة ضخمة مؤلفة من 14 مجلداً، كُتبت لتزويد طبقة الكتّاب برؤية منهجية شاملة لجميع فروع المعرفة المهمة. وقد أُنجزت هذه الموسوعة عام 1412م ونجحت في تحقيق هدفها".

من كتاب ديفد كاهن

The Codebreakers The Story of Secret Writing
Macmillan Company, New York, 1973, p 76.